

# النهار

معرض أيمن بعلبكي في "صالة صالح بركات" الملحمة  
التشكيلية في فضاءها المعماري الأرحب

أدب،  
فكر،  
فن



اقرأ هذا الخبر على موقع النهار: <http://newspaper.annahar.com/article/505142>

عقل العويط



3 كانون الأول 2016

كان لا بدّ من حضور معرض أيمن بعلبكي المتعدد التوجه، في "صالة صالح بركات" في كليمنصو (مسرح المدينة سابقاً). لا يصلح معرضٌ كهذا إلا في صالة كهذه. حيث الملحمة التشكيلية تجد المتسع والفضاء للتعبير عن خصوصياتها ودلالاتها وتأويلاتها في المكان الجليل والرحب الذي يحمل "المواطن" - لا الفنان والمتقف وحسب - على الشعور بالاعتزاز لوجود صالة تشكيلية في مدينة تبحث عن ذاتها بلا هوادة. الفضاء المعماري للصالة يفرض حالاً من الرهبة الإيجابية، وكما تتلاءم هذه الحال مع لزوميات اللوحات (والتجهيزات) الضخمة التي ترصد أشكالاً من الاختبار والمخاض والخراب والركام، من المستحيل التقاط دلالات معجمها التشكيلي خارج التأويل. ضخامة اللوحات تتخذ من المكان فسحةً هائلةً للانطلاق والتخليق في الأوسع والأرحب والأعمق. على غرار الشعر الذي يقيم في الصفحات لكنه لا يعثر على متسعه الكامل إلا في التخيل. ما تفعله لوحة أيمن بعلبكي في عقل المتلقي، أنها تفتحه على طبقاته الدفينة، على لاوعيه النازف، وعلى ركامات خراباته التي لا تكفّ عن التراكم، نزولاً يحفر في الباطن، وتصعيداً يمنح الخواء المزيد من الخواء. لكأن اللوحة هي ذاتها قصيدة

"الأرض الخراب" التي كتبها يوماً ت. س. إليوت.  
نحن هنا أمام عمارات الأرض الخراب، وفي حدائقها الجحيمية والملحمية التي تقتضي معاينتها، لا على أرض الواقع فحسب، بل في حُفَرِ الذات المتصدعة، ومناهاها القيامية. إنها أرض لبنانية بامتياز، أرض البخور واللبان وقد صارت أرضاً للعدم التشكيلي، ليس ثمة مكانٌ فيها لوجه، ليد، لنظرة، أو لخفقة قلب. هل من شك في أن ما يرسمه أيمن بعلبكي بدون عويل أو انفعال أو رثاء أو ألم، هو وجه الموت وقد بسط يده على الكون، لِمَ لا الكون اللبناني، بعد انتهاء العاصفة؟ ترى، هل انتهت العاصفة حقاً، أم أن اللوحة هي ضميرها الزلزالي المستتب، لكن خالياً من التوتر والضجيج الصوتي اللجب، الذي يذكرني شخصياً ببعض أبيات قصيدة البحري الشهيرة في وصف إيوان كسرى؟

وإذا كانت قصيدة إليوت تعبر عن خيبة أمل جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى وقرفه وتقزّزه، وإذا كانت تصوّر عالماً مثقلاً بالمخاوف والذعر والشهوات العقيمة، فإن لوحة بعلبكي تكثفي بهذه الحياة العدمية الخربة التي لا تنطوي على أيّ إشارة للخلاص. أليس ثمة خلاص يا ترى؟ لست أدري. المهم هو المشهد العدمي بالذات. المهم أيضاً هو التشكيل الذي تعتبر تقنياته في اللوحة هي الغاية. كأن لوحة بعلبكي لا تهدف إلى غايةٍ خارج ذاتها. كأن عمارتها هي الغاية.

قد ترسم لوحة بعلبكي علماً أميركياً أو لبنانياً أو صهيونياً أو تركيا أو نازياً، وقد ترسم طائرة للميدل إيست، أو عمارة. في الأحوال كلها هي ترسم ملحمة الركام والخراب والمخاض... الإعمار. هل ثمة ما يوحى بالإعمار حقاً؟ إذا كانت "ثقافات" الحديد المرفوعة على واجهة "مبنى بركات" الخرب تومئ إلى ذلك، فإن المناخ الطاعني تقنياً هو مناخ قيامي أكثر منه إعماريًا. أتطلع إلى لوحات "حدود الدماء" وأعبر منها إلى لوحات "منطقة خالية من الأعلام"، وصولاً إلى حواجز الإسمنت، وأعمال "بلويك" و"زجاج مورانو"، لأجد أن هذا الجهد المتحفى المتعدد التوجه، بين اللوحة والتجهيز والنحت، ينم عن خبرات تقنية هائلة. يا لقوة هذا الجهد، ويا لمتانته التشكيلية.

akl.awit@annahar.com.lb